حكايات بطولية للاطفال (٩)

كفر قاسم

والمحاكمة العادلة

بقلم: روضة الفرخ الهدهد

رسوم: عبد الرؤوف شمعون

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٨٤/٥/٢٢٧

المراجع

١ ـ كتاب عن الادب والادب الشعبي الفلسطيني للكاتب الفلسطيني توفيق زياد.
«تقرير واقعي عن مذبحة كفر قاسم».
٢ ـ كتاب «العرب في اسرائيل للكاتب صبري جريس ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ص ٢٤٠ ـ ٢٦٢ بيروت ١٩٧٢.
٣ ـ ارشيف دار الجليل ـ وما نشره مديرها محرر شؤون الارض المحتلة السيد غازي السعدي في جريدة الراي في الذكرى الخامسة والعشرين لمجزرة كفر قاسم.
٤ ـ مجزرة كفر قاسم من وقائع المحكمة الاسرائيلية بقلم اميل حبيبي، وقد نشرت في جريدة الرأي الاردنية بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٨٤م وعلى مدى ثلاثة ايام.
٥ ـ فيلم كفر قاسم اخراج برهان علويه.
٦ ـ مجزرة كفر قاسم مقال بقلم خليل السواحري.
٧ ـ ديوان شعر محمود درويش.
٨ ـ ديوان شعر سميح القاسم.

١

ـ محكمة ...

ارتفعَ صوتُ المنادي يعلنُ قدومَ القاضي قائلاً:

ـ محكمة ...!

ودخلَ القاضي ومن ورائِه المحامون والكتبةُ وأعضاءُ هيئةِ التحكيم، وجلسَ كلٌّ في مكانِه، ثمَّ أخذَ القاضي يضربُ الطاولةَ بالمطرقةِ ضرباتٍ متتاليةً، معلناً ابتداء المحاكمةِ، ثم قال:

ـ المتَّهمُ الأوَّلُ عبد الكريم صرصور.. من قريةِ كفر قاسم.

ووقف المنادي ينادي بأعلى صوته:

ـ السيد صرصور.. يتفضلُ إلى قفصِ الاتهام.

وأمامَ الحضور.. وحولَه الحرسُ الاسرائيليُّ، وقفَ عبد الكريم صرصور وتقدَّمَ بكل ثباتٍ إلى منصةِ الاتهام..

قالَ القاضي الاسرائيلي:

ـ أنتَ متَّهمٌ بتنظيمِ عشراتٍ من الشبابِ في قريةِ كفر قاسم في خلايا فدائية.. فهل تعترف؟

وسكت المتَّهمُ ولم يجبْ بحرفٍ..

وتابَع القاضي:

ـ وأنت متَّهمٌ بتخزينِ كمياتٍ من الأسلحةِ والموادِ المتفجرةِ في بيتِكَ وبيوتِ رفاقِكَ في القريةِ، فماذا تقول؟

وسكَتَ المتَّهمُ ولم يُجبْ بحرفٍ..

وتابَعَ القاضي:

ـ وأنت متهمٌ، أنتَ ورفاقُكَ بالقيامِ بعملياتٍ مسلحةٍ ضدَّ الجنودِ الاسرائيليين، ونصبِ كمينٍ لحافلةِ ركابٍ اسرائيليةٍ قربَ قريةِ كفر قاسم، فماذا تقول؟

وسَكَتَ المتَّهمُ ولمْ يجب بحرف أيضاً..

كانَ عبد الكريم صرصور يتفرَّسُ في وجهِ القاضي وكأنَّهُ لا يسمَعُ ما يقول.. كان يحدِّقُ في وجوهِ القاضي والمحامينَ والحرسِ والحضورِ وكأنَّهُ يشاهِدُ على وجوههم فيلماً سينمائياً مثيراً طالما رآه.. فيلماً جرى في قريتِهِ كفر قاسم قبلَ ثلاثينَ عاماً بالضبط، حينَ لم يَكُنْ عمرُه قد تجاوَزَ سبعةَ أعوام..

وقطَعَ عليهِ القاضي رؤيته للفيلم وهو يقول:

ـ ألا تدري أن أيَّ اتهامٍ من هذهِ الاتهاماتِ يعني السجنَ المؤبدَ والأشغالَ الشاقةَ لك ولرفاقك الخمسة في هذهِ الخليةِ الفدائيةِ؟..

وتذكَّرَ عبد الكريم صرصور فجأةً محكمةً أخرى مشابهةً سمِعَ بها وقد جَرَت قبلَ ثلاثينَ عاماً أيضاً.. محكمة خمسةٍ أيضاً كانوا اسرائيلين من حرس الحدود الاسرائيلي كانت التهمةُ لأحدِهِم تعني السجنَ المؤبَد والأشغالَ الشاقةَ أيضاً، ولكنّهم خرجوا من المحاكمةِ بقرارٍ عجيبٍ غريبٍ!!

****

٢

في قريةِ كفر قاسم، وقبلَ ثلاثين عاماً، وفي شهرِ تشرين الثاني من عام ١٩٥٦، جاءَ جنديٌ اسرائيليٌ إلى دكّانِ مختارِ القريةِ «أحمد صرصور» يناديه.. صاحَ الجنديُّ من بابِ الدكانِ:

ـ يا صرصور.. يا صرصور.. يُريدونَكَ هناكَ حالاً..!!

ـ من يريدني؟..

ـ الضابط «شدمي» من كتيبةِ حرسِ الحدودِ.. يريدُكَ في الحالِ.. أسْرِعْ ولا تتأخَّر..

ترَكَ المختارُ كلَّ ما كانَ في يدِهِ حالاً.. أغلقَ الدكّانَ وأرسلَ ابنهُ إلى البيتِ، ولَمْلَم قمبازَهُ وانطلقَ يركُضُ تجاه مقرِّ الضّابطِ.. كانَ يشعرُ بشيءٍ من الرهبةِ والخوفِ وقد بدءا يتسرَّبان إلى قلبهِ.. فمجرّدُ كلمةِ «حرسُ الحدودِ» يَعني المعاملةَ السيئةَ.. والضابطُ «شدمي» هذا، لَهُ سجلٌ حافلٌ في سوءِ معاملةِ العرب في القرى الحدوديةِ.. وإذا أرادتِ الحكومةُ الاسرائيليةُ تنفيذَ أوامرَ قذرةً لجأت إلى أفرادِ كتيبةِ «حرسِ الحدودِ» هذهِ، وإذا أرادتْ تدبيرَ مكائدَ ومصائدَ للعرب، لجأت إلى الضابط «شدمي» هذا.. فما الأمرُ اليومَ يا تُرى؟.. هل كانَ هذا الضابطُ قد سَمِعَ شيئاً مما قالَهُ الشبابُ في مقهى القريةِ أمس؟.. أم هل تُراهُ يريدُ مني أن أقفلَ المقهى لأنَّ الشبابَ والرجالَ ينتابُهُم الحماسُ الشديدُ وهم يستمِعونَ فيه لخطاباتِ الرئيسِ المصريِّ «جمال عبد الناصر»؟ طالما قلتُ لهؤلاء الشباب أنَّ عليهم أنْ يترُكوا أمرَ مصرَ وجمال عبد الناصر والسياسةِ كلها.. فما لَنا نحنُ ومال

تأميم «قناةِ السويس(١)»؟.. إذا أرادَ جمال عبد الناصر تأميمَ قناةِ السويسِ وإعادةَ ملكيّتِها إلى مصرَ، وطرد الانجليز والفرنسين، فما دخلُنا نحنُ بهذا الوضعِ؟.. قلتُ للشباب مراراً وتكراراً اتركوا موضوعَ السياسةِ والأخبار، فنحنُ هنا في هذهِ القريةِ تحتَ الاحتلالِ الاسرائيلي، ويجبُ أن نتقيَّدَ بقوانيهِ وأنظمتِهِ.. ونحنُ حقّاً متقيدون بهذِهِ الأنظمةِ والقوانينِ منذ احتلالنا عام ١٩٤٨.

وتوقَّفَ المختارُ لَحظاتٍ وهو حائرٌ يفكّرُ.. ماذا يريدُ الضابطُ «شدمي» مني؟.. وهل للأمرِ حقاً علاقةٌ بما يجري على أرضِ مصر؟.. وماذا يجري على أرضِ مصرَ يا ترى؟

***

(١) قناة السويس: ممر مائي حفره المصريون يربطُ البحر الأبيضَ المتوسطَ مع البحرِ الاحمر، تمر فيه السفُنُ التجاريةُ، وقد كانت انجلترا وفرنسا تمتلكانه، الى ان قام الرئيس المصري «جمال عبد الناصر» بتأميمه اي اعادة ملكيته لمصر عام ١٩٥٦

٣

استعدّت انجلترا وفرنسا واسرائيل للهجوم على مصر.. جهّزوا الخطط، ورسموا الخرائط.. دفعوا الأموالَ وهيأوا الجيوشَ.. ملأوا الدباباتِ والطائراتِ بالوقودِ، وانطلقَ آلافُ الجنودِ المظليينِ ينزلونَ من طائراتِهم العسكريةِ في سماءِ مصرَ إلى أرضِهَا.. لماذا لا يهجمونَ؟ لماذا لا يحتلُّونَ مصر؟ لماذا لا يكسِرونَ قوّتَها العسكريةَ؟ لماذا لا يقهرونَ ابناءَها ويحطّمون كبرياءَها؟..

في ذلكَ اليومِ في ١٩٥٦/١٠/٢٩ وبعدَ اعلانِ الحربِ ضدَّ مصر، اجتمَعَ الضابطُ الاسرائيليُّ «شدمي» مع جنودِهِ في منطقةٍ تُدعى «المثلث العربيَ» لأخذِ الترتيباتِ اللازمةِ لحمايةِ هذهِ المنطقةِ العربيةِ من أبنائها!!

قال شدمي:

ـ ترون أنَّ المعركةَ واحدةٌ هنا وهناك.. هناكَ على حدودِ مصرَ يقومُ جنودُنا بالهجومِ على أرضِ مصرَ لاحتلالِهَا. وهنا في هذهِ القرى العربيةِ على حدودِ الأردنِّ نقومُ نحنُ بمنعِ تجوُّلِ أيِّ عربي خارجَ بيتِه.. فحماسُ الشباب العرب وتأييدُهم لمصرَ قد يدفعُهم للقيام بأيِّ عملٍ ضدَّنا.. ولذلك علينا أن نشدِّدَ قبضتَنَا عليهم.. إنها معركتُنا مع أهالي هذه القرى، ودورُنا هو حمايةُ خلفيَّةِ جنودِنا المتقدّمين هناك..

قال الرائد «ميلينكي»:

ـ هل أفهمُ من هذا أيُّها الضابطُ أنَّنا سنفرضُ منعَ التجوُّلِ في هذه القرى؟.

ـ نعم! سنفرضُ منعَ التجوُّلِ من الآن. مِنَ الساعةِ الخامسةِ عصراً إلى السادسةِ صباحاً.. لَنْ نُذيعَ ذلِكَ «بالراديو» حتى لا نثيرَ الشكوكَ، ولكنَّنا سنوصِلُ القرارَ إلى الناس فرداً فرداً.. لا أريدُ أحداً يتجوَّلُ في الشوارعِ.. لا أريدُ أحداً يطلُّ برأسِهِ منْ نافذةِ دارِهِ.. لا أريدُ طفلاً ولا حتى دجاجةً أو عنزةً تتجوَّلُ.. وكلُّ مَنْ يعارِضِ الأمرَ أو يخالِفْهُ فليرحمْهُ اللهُ.. لا أريدُ عواطِفَ.. ولا جرحى، بل تطبيقَ القانونِ بكلِّ دقَّةٍ وحزم.. وأرجو منك أيُّها الرائدُ أنْ ترسِلَ الآنَ في طلبِ مختارِ كلِّ قريةٍ[1] مِنْ قُرى المثلثِ الواقعةِ ضمن اختصاصِنا، لابلاغهم الأمر.

****

٤

وصَلَ «أحمد صرصور» مختارُ قريةِ كفر قاسم ودخَلَ إلى مقرِّ الضابطِ..

قالَ الضابطُ مباشرةً ودون مقدِّماتٍ:

ـ يا صرصور، أخبِرْ أهلَ قريتِكَ أنّنا فرضنا عليهم منْعَ التجوُّلِ من الساعَةِ الخامسةِ عصراً إلى السادسَةِ صباحاً، ومِنَ اليومِ وحتّى إشعار آخر.

---

(١) القرى التي فرض عليها منع التجول هي كفر قاسم، كفر برا، جلجولية، الطيرة، الطيبة، قلنسوة، وبير السكة.

وبحرَكَةٍ لا شعوريةٍ مرتبكةٍ، أخرجَ المختارُ ساعتَهُ من جَيْبِ قمبازِهِ ونظرَ فيها.. وكادَ يُصعقُ، فقال:

ـ سيدي.. ولكنَّ الساعةَ الآن الرابعةَ.. فكيفَ سأُخبرُ العمّالَ والفلاحينَ مِنْ شبابِ ونساءِ القريةِ الذين يعمَلونَ في المصانعِ والمزارعِ والحقولِ خارجَ القريةِ. وأنتَ، سيدي، تعرفُ أنَّهم جميعاً يعودونَ بعدَ الخامسةِ؟

كانَ المختارُ يعرفُ أنَّ هذا الضابطَ يعني ما يقول، وأنَّ الخامسةَ تعني الخامسةَ فعلاً.. وهو يعرفُ أنَّ كلَّ العمالِ يعودون بعدَ ذلكَ الوقتِ، فماذا يفعلُ؟؟ قالَ الضابطُ بكلِّ صَلَفٍ:

ـ لا عليكَ يا صرصور.. سنهتمُّ نحنُ بأمرِ هؤلاءِ العمَّالِ والفلاحين.. دَعْ عنكَ أمرَهُم واهتم بأهل قريتِكَ..

- إنَّهم كثيرونَ ويعودون إمّا مشياً على الأقدامِ، أو بالسياراتِ، أو بالدّراجاتِ، وينتشِرونَ في عدَّةِ أماكنَ، فكيفَ سنبلِّغُهم الأمرَ؟

صاح «شدمي» قائلا:

- ألَم أقلْ لكَ دعْ أمرَهُم لي؟ انطلقِ الآن إلى أهلِ قريتِكَ حالاً ولا تُضِعِ الوقتَ، وإلاّ كنتَ أولَ الخارجينَ على القانونِ.

انطلقَ المختارُ مهرولاً يُلملِمُ قمبازَهُ ويركُضُ عائداً إلى أهلِ قريتِهِ.. فهو نفسُهُ قد لا يصِلُ بيتَهُ قبلَ بدءِ منْعِ التجوُّلِ.. فماذا يفعلُ ومِنْ أينَ يبدأُ؟ ذَهَبَ رأساً إلى الجامِعِ، وأمسَكَ بمكبِّرِ الصوتِ وبدأ يُنادي بأعلى صوتِهِ:

- يا أهالي قريةِ كفر قاسم.. اسمعوني لا وقتَ لدي، لديَّ أوامرُ مشددةٌ.. إلزموا بيوتَكُم

حالاً. لقدْ فُرِضَ قرارُ منعِ تجوُّلٍ صارمٍ سيسري بعدَ نصفِ ساعةٍ مِنَ الآن.. لا أحَدَ يخرُجُ من بيتِهِ مهما تكن الأسبابُ.. يبدو أنَّ الأمرَ خطيرٌ.. يا أهلَ كفر قاسم، إذهبوا إلى بيوتِكُم حالاً، أقفلوا أبوابَها على أبنائِكم.. التزموا الهدوءَ.. يا أهلَ كُفر قاسم..

سكَتَ قليلاً وكأنَّهُ يشعرُ بمشكلةٍ كُبرى لا يستطيعُ حلَّها ثمَّ قالَ:

- أمَّا ابناؤُكم وأزواجُكم وإخوانُكُم في المصانِعِ والمَزارِعِ والحقُولِ، فلقد وعَدني قائدُ كتيبةِ «حرسِ الحدودِ» أنْ يهتمَّ هو بأمرِهِم.. فلا تَخْشوا شيئاً..

أقفلَ أصحابُ الدكاكينِ والمحالُ التجاريةِ أبوابَها.. أدخلَ صاحبُ المقهى الكَراسي والطاولاتِ.. أطفأتْ أمُّ عيسى النارَ التي كانَتْ تخبزُ عليْها.. أدخَلَتْ أمُّ طلال دجاجاتِها إلى قُنِّها.. وأخذتْ مريم تُنادي على أبنائِها وتُلملِمُهم.. وفي دقائقَ توقفت الحركةُ في الشَّوارِعِ، ولكنَّ القلوبَ بدأتْ تغلي.. فأربعُمائةٌ من رجالِ القريةِ ونسائها لا يزالونَ خارجَها، وسيعودونَ لا يعرفونَ عنْ منْعِ التجوُّلِ شيئاً.. وجلَسَ «عبدُ الكريم صرصور» ابن السَّبعِ سنواتٍ خلفَ حديدِ النافذةِ ينظُرُ إلى الشوارعِ وهي خاليةٌ..

❀❀❀❀

٥

وَمِنْ خلفِ حديدِ قفصِ الاتِّهام وقفَ «عبد الكريم صرصور» ينظُرُ إلى القاضي والمحامين ورجالِ الشرطةِ الاسرائيليةِ، ويعقِدُ المقارنةَ بينَ هؤلاءِ وبينَ جنودِ حرَسِ الحدودِ الاسرائيليِّ، الضابطِ «شدمي» والرائدِ «ميلينكي» والجنودِ ينتشرون داخل القريةِ وعلى مداخِلِها الرئيسيةِ..

****

٦

على مسافةٍ غيرِ بعيدةٍ من القريةِ كانَ سميرٌ وبعضُ رفاقِهِ يقودونَ دراجاتِهم عائدينَ إلى قريتِهم.. كانَ سميرٌ يقولُ لرفيقِهِ وهوَ يثبِّتُ فأسَهُ على الدرّاجةِ:

ـ أمسِ ولدَتْ بقرتُنا وأنجبَتْ توأمي عجول، وقد أصبحَ عندنا حليبٌ، طازجٌ فما رأيُك بصحنِ مهلبيةٍ مِنْ حليبِ البقرةِ الطازجَ يصنَعُهُ لنا أهلُ البيتِ؟..

ضَحِكَ رفيقُهُ وقالَ:

ـ أنتَ لا تفكِّرُ إلّا ببطنِكَ يا عزيزي.. شكراً لكَ على كلِّ حالٍ فأنا أريدُ أن أصِلَ بيتي وأخلَعَ ملابسي وأرتاحَ...

وبينما هما يتحدَّثانِ ويقتربانِ مع رفاقِهما إلى القريةِ.. إذْ بهم يرونَ سيارةَ شرطةٍ عسكريةٍ اسرائيليةٍ فيها ما لا يقلُّ عن عشرةِ جنودٍ تقفُ قربَهُم!!..

أوقَفِ سمير دراجتَهُ بينما هدَأَ رفيقُهُ من سُرعَةِ درّاجَتِهِ.. كانَ أحدُهُما لا يريدُ الحديثَ مَعَ الجنودِ.. ولكنَّ وجْهَ القائِدِ كانَ غريباً وكأنَّهُ يُخفي أمراً ما.. وأحبَّ سميرٌ أنْ يخفِّفَ الوضْعَ فقال:

- شالوم..

رد عليه الرائدُ «ميلينكي» بكلِّ سخريةٍ:

- هل أنتُم مبسوطون؟

أجاب سمير بتردد:

- نعم.

وفي الحالِ نزَلَ الرائدُ من سيَّارَتِهِ وأعطى الأمرَ لجنودِهِ بالإشارةِ وقال:

- أحصدوهم.

ولمْ يدْرِ أحدٌ ما معنى كلمة «أحصدوهم» ولا مَنْ أطلَقَ الرصاص.. فقدِ انهالَ الرَّصاصُ عليهم مِنْ كلِّ جهةٍ، وارتمى الشبابُ على الأرضِ وتعالى الصُّراخُ وتدَحرَجَ

سميرٌ وهو يصرُخُ الى حفرةٍ مجاورةٍ في الشارعِ. ثمَّ توقَّفَ الصُّراخُ فجأةً كما ابتدأ.. فقالَ الرائدُ «ميلينكي» بكلِّ برودٍ:

- «يكفي.. لقدْ قُتلوا.. فخسارةُ اطلاقُ المزيدِ من الرَّصاص.. هيَّا بنا».

وتَحرَّكَ الرائدُ ورجالُهُ بضعةَ أمتار، تاركينَ وراءَهم جثثَ العمَّالِ العربِ دونَ حراكٍ، بينما كانَ سميرٌ الذي تدحرَجَ إلى الحُفرةِ وهو ينزِفُ، لا يزالُ على قيدِ الحَياةِ يعاني من جراحِهِ..

****

في قُرى «المثلثِ العربي» وفي السهولِ والجبالِ المحيطةِ تنتَشِرُ أشجارُ الزيتونِ خضراء يانعةً.. عميقةَ الجذورِ متفرعةَ الأغصانِ.. زَرَعَها ويزرعُها أهلُ القرى العرَبِ منذُ مئاتِ السنينِ وإلى مئاتِ السنينِ القادمةِ. وفي شهرِ تشرينِ الأول الشهرِ العاشرِ من كلِّ عامٍ تتجنَّدُ قوى الشَّبابِ والشَّاباتِ والرجالِ والنساءِ والأطفالِ من أهلِ القُرى لقطفِ الزيتونِ. في ذلك النهارِ، وقبلَ ثلاثينَ عاماً حاوَلَ «عبدُ الكريم صرصور» أن يُقنِعَ عمَّتَهُ «فاطمة صرصور» أن يذهَبَ معها لقطفِ الزيتونِ في أحدِ الحقُولِ المجاورةِ.. حاوَلَ كثيراً وبكى، ولكنَّ جدَّتَهُ أصرَّتْ أنْ يَبقى في بيتِهِ لأنَّهُ بعدُ صغيرٌ ووَعدتْهُ أنْ تشتريَ له الحلوياتِ إذا رَعى أبناءَ عمَّتِهِ الصِّغارَ، الذين تركتهم في رعايةِ الجيرانِ لحينِ عودتِها.. وقَدِ انتظرَ «عبد الكريم» عمَّتَهُ طولَ النهارِ.. واهتمَّ بأولادِها الصغارِ لينالَ ما وَعَدتهُ جدَّتُهُ من حلوى.. ولكنَّ أحداً لمْ يعُدْ.. لَمْ تَعدْ جدَّتُهُ ولا عمَّتُهُ ولا بناتُ الجيرانِ اللواتي ذهبن لقطفِ الزيتونِ...

كانت عمَّتُهُ «فاطمة صرصور» حاملاً في شهرها الثامن، ولديْها ثلاثةُ أطفال، أما أمُّها فقد جاوزَ عمرُها الخمسين عاماً.. وقد ذهبتا معاً مع ثلاثَ عشرةَ فتاةً وسيدةً: أصغرُهنَّ في الثالثةِ عشرَ مِن عُمرِها.. وقطفتْ كلُّ واحدةٍ منهنَّ ما لا يَقِلُّ عن عشرِ شجراتٍ وقبضْنَ الثمن، ثلاثةَ جنيهات، وعُدنَ متعباتٍ مرهقاتٍ إلى بيوتِهنَّ.. قالتِ الجدَّةُ وهي تنظرُ إلى الأفقِ البعيدِ:

ـ مَنْ قال بعد هذا العمرِ اني سأصبحُ عاملةً في أرضنا ذاتها التي كنَّا نملِكُها؟ أنا وأنتِ يا بنيَّتي نُصبحُ مجرَّدَ عاملاتٍ عندَ اليهودِ؟.. الشجرُ شجرُنا زرَعهُ أبي وأعمامي، أصبحَ ملكَ الحكومةِ الاسرائيليةِ

وأصبحنا نحنُ عمالاً لقطفهِ لهم! .. آه يا بناتي.. آه.. من سنةٍ ما دخَلَ اليهودُ البلاد، ونحنُ من وضعٍ سيءٍ إلى وضعٍ أسوأ. فهلْ أعيشُ إلى اليومِ الذي تعودُ فيهِ أرضُنا لنَا يا تُرى؟

ولمْ تكدِ الأمُّ تكمِلُ حديثَها حتى فوجِئتْ بالشاحنةِ تقفُ فجأةً، ويتَّجهُ إليها ثلاثةٌ مِنْ الجنودِ الاسرائيليينَ يحملونَ بنادِقَهم.. اتّجهَ واحدٌ إلى السائِقِ وأمرَهُ بالنزولِ، واتّجهَ الاثنانِ إلى الخلفِ وأمرا النساء بالنزولِ.. ونزلت أمُّ فاطمة أولاً، ثمَّ أمسكتْ يدَ ابنتِها الحامِلِ وأنزلَتْها.. ثمَّ نَزلَتْ الفتاةُ الصغيرةُ والسيداتُ الأخريات، لا تدري أيُّ منهنَّ ما الأمر.. ولكنّهنَّ وفيما هنَّ ينزلْن، كانت سيارةٌ صغيرةٌ فيها عاملان وسائقٌ، تتوقّفُ ويَقتربُ منها جنديَّانِ، فينزلُ العمَّالُ العرب ويطلِقُ عليهم الجنديُّ النارَ فيرتمون على الأرض..

صرخت فاطمة،

وكادت قدَمُها

تنزلِقُ مِنْ عنِ

الدَّرجِ الحديديِّ

للشاحنةِ، وصَرخَتْ

باقي النسوةِ،

وانكمشْنَ على

بعضِهنَّ يُغطين

أعينهنَّ مما يرين.

وقالت الأم:

ـ لماذا تقتُلونَهم.. ما الأمرُ؟

قالَ الضابطُ:

ـ وسنقتلُكِ أنتِ وهذهِ الحاملَ أيضاً.. ألا تعلمينَ أنَّ التجوُّلَ ممنوعٌ.. ألا تعلمينَ أنَّ الحربَ مَعْ مصرَ قد بدأت ونحنُ نريدُ أنْ ننتصرَ هُنا وهناك؟ لقد قالو لَنَا في «المقرِّ» إنّهم لا يريدونَ جَرحى.. فإذا تجولوا اللهُ يرحمُهم.. دونَ اعتقالاتٍ.. ونحنُ نطبِّقُ هذهِ الأوامرَ.. لا نريدُ اعتقالَ الخارجينَ والخارجاتِ عَنِ القانونِ الذي نفرضُهُ.. القتلُ أسهلُ..

وتَعالى صراخُ الفتياتِ والنسوةِ، وأخذت كلُّ واحدةٍ تعانقُ زميلَتَها، ولكنَّ الرائدَ والجنودَ كانت لديهم أوامِرُ محدَّدةٌ، فالنصرُ هنا يسهِّلُ النصرَ هناك ومن ثمَّ الوصولَ الى نهرِ النيلَ والقاهرة وجمال عبد الناصر!!

وأطلقَ الرصاصُ، فَسقطتِ النسوةُ فوقَ بعضهنَّ ووقعت الفتاةُ الصغيرةُ تحتَ جُثَثِ رفيقاتِها ولمْ تفارقْها الروحُ، فقد أُصيبت بجراح فقط.

****

٨

هناكَ في القريةِ كانتِ الشوارعُ خاليةً.. والأبوابُ مقفلةٌ.. والناسُ خلفَ الأبواب يستمِعونَ إلى المذياعِ والأخبار.. وكان «عبد الكريم صرصور» جالساً في بيتِهِ.. مُرغماً على عَدَمِ التحرُّكِ.. ولكنَّهُ فجأةً سَمِعَ جلبةً وضوْضَاء في الخارجِ .. فَقفَزَ إلى النافذةِ ليرى ما الأمرُ.. وإذ بهِ يرى صديقهُ «طلال شاكر» يلحقُ عنزتَهُ الصغيرةَ التي خرجت «تتجوّلُ» في ساحةِ الدارِ.. كانَ طلال في الثامنةِ من عمرهِ، طفلاً ذكياً محبوباً.. يرعى عنزاتِ أهلِهِ في العصر بَعدَ عودتِهِ مِنَ المدرسةِ، وقد رأى إحدى العنزاتِ تخرُجُ من حظيرتِها وتتَّجهُ إلى الخارجَ .. فَخرَجَ مسرعاً إلى السَّاحةِ لادخالِها، ولكنَّ جندياً إسرائيلياً كانَ يراقِبُ مَنْعَ التجوُّلِ، شاهَدَ أربعةَ اقدامٍ لعنزةٍ تخترقُ هذا المنعُ.. ثم شاهَدَ قدمين صغيرتَين تلحقَانِها وتدفعانِ بها إلى الوراءِ.. فَلَمْ يعجبْهُ المنظرَ. إذ أنَّهُما في نهايةِ الأمرِ أقدام تخترقُ القانونَ وتسيرُ في ساحةِ الدّارِ. أقدامٍ عربيةٍ تتجوَّلُ.. فأطلقَ النارَ على طلالٍ وعنزتِهِ وفرقعت الرصاصاتُ في الساحةِ، فأطلَّ الجميعُ برؤوسِهِم.. لم يكُنْ والِدُ طلال قد أحسَّ بخروجِ ابنِهِ من البيتِ فَلمْ يكد يَراهُ يرتمي فوقَ عنزَتِهِ حتى خرجَ دونَ تفكيرٍ، واندفعَ نحوابنِهِ، وإذ بالرصاص يتدفَّقُ نحوَهُ ويُفرقعُ في الساحةِ.. وانتظرَ الجنديُ قليلاً.. كانَ يعرفُ أنَّ والدةَ

الطِّفلِ لا بدَّ ستخرُجُ.. فما إنْ خَرجَتْ واندفعتْ نحوَ ابنِهاوزوجِها وعنزَتهماَ حتى أطلقَ الرَّصاصَ مرةً ثالثةً، فالتحمتِ الأمُّ بعائلتِها وهنىء بالَ الجنديِّ فقد لمَّ شملَهُم..!

كانَ جدُّ طلال يَجلِسُ على كرسيهِ في الغُرفَةِ، وقد شَاهَدَ وسَمِعَ ما حدثَ.. ولكنَّهُ لمْ يستطع التحرُّكَ أو الوصولَ إلى الباب.. لقد أصيبتْ قدمَاهُ بالتشنُّج والشَّلَلِ.. وبقيَ في مكانِهِ لا يتحرَّك، إلى أنْ فارَقَ الحياةَ في اليومِ التالي.. تُوفِّيَ بالسكْتَةِ القلبيةِ ولَمْ يُكلِّفِ الدولةَ الاسرائيليةَ ثَمَنَ الرَّصاصِ، ولم يخْرِق قانونها...

****

اقتربَتْ شاحنةٌ تحملُ أربعةَ عمّالٍ مِنْ مَدخلِ قريةِ كفر قاسم.. كانتْ شاحنةً متوسطةَ الحجمِ يجلسُ قربَ سائقِها أحدُ العمالِ، بينما يجلسُ الثلاثةُ الآخرونَ في الخلفِ.. حدَّقَ العاملُ فيما يرى أمامَهُ على الأرضِ من بُعدٍ وقالَ للسائقِ:

- ألا ترى ما أرى؟.. أليست هذهِ جُثثاً مرميّةً على الأرض؟ ألا تعتقدُ أنَّ هناكَ مشكلةً ما؟؟.. ما الأمرُ.. وبينما هو يتحدثُ إذ بهِ يرى جُندياً اسرائيلياً يُلوِّحُ لهم بأن يقِفُوا، فَصَرخَ في السائقِ قائلاً..

- إيّاكَ أنْ تقِفَ.. تابِعْ سيرك.. تابعْ.. إدعسْ إضغطْ على البنزين.. إنطلق والاّ كانَ مصيرُنَا كهذِهِ الجثثِ..

وضَغَطَ السائقُ على مكبسِ البنزينِ، فانطلقتِ الشاحنةُ كالصاروخِ تجتازُ الشرطةَ.. وتجتازُ الرصَاصَ الذي انهمرَ عليها بغزارةٍ، فنجا الجميعُ الاّ واحداً من الخلفِ!!

وبينما كانَ بعضُ الجُنودِ منكبِّينَ على الجُثثِ منهمكينَ في أخذِ أواعي وحاجات العمالِ من ساعاتٍ ونقودٍ، أقبلتْ شاحنةُ عمالٍ كبيرةٍ وقد أضاءتْ مصابيحَهَا الأماميةَ، ولاحظَ سائِقُها ما يجري أمامَهُ، ورأى الجُثَثَ والجنودَ، فأدركَ خطورةَ الموقِفِ، فانعطفَ بشاحنتِهِ إلى اليسارِ ودارَ بها دورةً كاملةً، كادَ العمّالُ من أثرها أنْ ينقلِبُوا وتنقلِبَ بهمُ الشاحنةُ، ثم انطلق مِنَ حيثُ أتَى.. ولمّا تنبَّهَ الجنودُ الاسرائيليون لذلك، أطلقوا النارَ بغزارةٍ على

الشاحنةِ حتى تفرقَعتِ العجلاتُ، وأصبحَ السائِقُ يمشي على حديدِ العجلاتِ، كانَ السائقُ يريدُ النجاةَ بروحِهِ وروحِ ركَابِهِ بأيِّ شكلٍ، وفعلاً نجا الجميعُ بمعجزةٍ.

كلُّ منزلٍ في قريةِ كفر قاسم كانَ قد أصيبَ بمقتلِ شخص أو أكثرَ في هذهِ الحادثةِ.. بعضُ العائلاتِ فقدتِ الأبَ وبعضُها فقدَ الأمَ، وبعضُها فقدَ الأبناء والأخوةَ.. استشهدَ في يومٍ واحدٍ وخلالَ ساعةٍ تقريباً تسعةٌ واربعون قتيلاً وسقَطَ ثلاثةُ عشرَ جريحاً.. كانَ بينَ القتلى اثنتا عشرة امرأةً وفتاةً وعشرةُ شبانٍ وسبعةُ أولادٍ تتراوحُ أعمارُهم بينَ الثامنةِ والثالثةَ عشر.. كانوا قادمينَ إلى بيوتِهم مِنْ أعمالِهم على شكلِ موجاتٍ متتابعةٍ، على الدرّاجاتِ أو السياراتِ أو الشاحناتِ أو مشياً على الأقدام، وكانَ يُقْضَى عليهم على شكلِ موجاتٍ متتابعةٍ، أيضاً، وبينَ كلِّ موجةٍ وموجةٍ، كانَ الجنودُ الاسرائليونَ يتقدّمونَ للأمامِ بضعَ خطواتٍ للابتعادِ عن الجثثِ.. ولمَّا قاربتِ الساعةُ السادسةَ اتّصلَ الرائدُ «ملينكي» بالضابط «شدمي» قائلاً:

ـ لقد أنقصنا عددَ العربِ خمسةَ عشرَ فرداً.

وبعدها بدقائق أعادَ الاتصالَ قائلاً:

ـ انقصناهم عدداً لا نستطيعُ عدَّهُ الآن..

وبَعدَ دقائقَ أعادَ الاتصالَ قائلاً:

ـ قتلنا مجموعةً أخرى..

ـ «هذا يكفي اليوم.. كفُّوا عن إطلاقِ الرَّصاصِ».

❁❁❁❁

١١

في تلكَ الساعةِ كانَ اثنانِ من القتلى يتحرّكانِ، اثنانِ يريدانِ الهربَ من هذا الجحيمِ الأرضيِّ الذي فُتِحَ عليهما. كانَ سميرٌ لايزالُ في حفرتِهِ يضعُ يدَهُ على جرحِهِ ويُرهِفُ السمعَ لِمَا يجري حولَهُ.. سَمِعَ صوتَ الشاحنةِ تصلُ، وسَمِعَ الحوارَ بينَ النِّساءِ والجنودِ..

فأحسَّ بالفرصةِ المواتيةِ لَهُ، فقامَ من حفرتِهِ وأخَذَ يعدو بكلِّ ما أوتيَ من قوةٍ تجاهَ القريةِ، كانَ الظَّلامُ قد بدأ يحلُّ وكانت سلاسل القريةِ الحجريةِ وأشجارُها تعترضُ الطريقَ.. وقد تنبهَ أحدُ الجنودِ، فاستدارَ وأخذَ يطلِقُ عليهِ الرصَّاصَ ولكنَّهُ سرعان ما اختفى عنِ الأنظارَ، ودخَلَ أحدَ بيوتِ القريةِ المجاورةِ.

أما «اسماعيل الصرصور» فقد بقي طولَ الليلِ الباردِ بينَ الجثثِ لا يتحرَّك.. ظلَّ ساكناً يتألَّمُ آلاماً فظيعةً من جراحهِ، وهو يعرفُ أنَّ عشرةً على الأقلِّ من عائلتِهِ قربَهُ جرحى أو أمواتاً. كانَ يودُّ أن يعرفَ ما الذي يجري، ومن لا يزالُ منهم على قيدِ الحياةِ، علَّهُ يهرُبُ معَهُ.. ولمَّا لمْ يستطِعْ أمسكَ برجلِهِ المصابةِ وابتعد بهدوءٍ غريبٍ إلى أقربِ شجرةِ زيتونٍ.. تسلَّقَها واختبأَ بينَ فروعِها وهو لا يدري هل سيكتشِفُهُ أحدٌ من الجنودِ فيقضي عليهِ، أم ستُكتَبُ لهُ النجاةُ؟..

****

١٢

في المستشفى كانَ الطفلُ «عبدِ الكريم الصرصور» يريدُ أنْ يقابلَ كلَّ جريحٍ من أهلِ قريتِهِ ليسمَعَ منهُ الحادثةَ مرةً أُخرى.. سمِعَهَا مرَّاتٍ ومرَّاتٍ، فَلَمْ يكن أحدٌ من أهلِ القريةِ إلَّا ويتحدَّثُ بمَا حصل فعندما جاءتْ سياراتُ الإسعافِ الاسرائيليةِ وَحَملتِ المصابين، غيرَ القتلى، إلى المستشفى، هُرِعَ الأهالي للاطمئنانِ على جرحاهم.. وقد التصقَ عبد الكريم بَقريبِهِ اسماعيل يستمعُ إلى قصَّتِهِ الطريفة الغريبة:

- صَعَدتُ شجرةَ الزَّيتونِ واختبأتُ بينَ فروعِها.. كانَ الظلامُ قد حلَّ، والبردُ قد اشتدَّ.. فلمْ يرَني الجنودُ من الظَّلامِ، وتوقَّفَ نزيفُ قَدمي من البردِ.. وظَلَلْتُ مكاني طول الليل ونهارَ اليومِ التالي.. وفجأةً رأيتُ سياراتِ الجنودِ تتحرَّكُ بعصبيةٍ، فقد تكوَّمَتِ الجثثُ وكانَ من الصَّعبِ تصريفُها.. كنتُ أسمعُ الضابطَ «شدمي» نفسَهُ وهو يتعجَّبُ من هذهِ

مَنْ سيدفِنُ هؤلاءِ.. وقدْ سمعْتُهُ يتّصِلُ بسياراتِ إسعافٍ مِنَ المستشفى، ويطلبُ سياراتِ

حَمْلِ الموتى.. وجرّافاتٍ..
ولكنَّ أغربَ ما في الأمرِ أنَّ جنودَهُ رفضوا دفنَ الموتى بأنفسِهم.. مَنِ الذي يدفِنُهم إذنْ؟. كيفَ نترُكُهم هكذا؟..

قال الرائد «ميلينكي»:

ـ أقترحُ أن نُرسِلَ وراءَ أهلِهم فهم أحقُّ بدفْنِهم..
ـ مستحيل.. يجب أن يبقى أهلُ القريةِ ملتزمينَ بقرارِ منعِ التجوُّلِ.. ويجبُ أن يبقى الموضوعُ سراً عن الأهلِ وعن السّلطاتِ الرسميةِ.
ـ ولكنَّنا لن نقومَ بدفنِهم على كلِّ حالٍ..
ـ أرى ان نستعينَ بأهلِ إحدى القرى المجاورةِ.. قريةِ جلجولية مثلاً... نطلبُ منهم حَفْرَ مقبرةٍ جماعيةٍ كبيرةٍ، دونَ أن يعرفوا لِمَنْ، ثم نطلبُ منهم نَقلَ القتلى إليها..
ـ حسناً هذا حلٌ مناسب.
«وبقيتُ في مكَاني على الشجرةِ لا أتحرّكُ.. كأني فرعٌ منها.. لم أكن أريدُ أن تحملني إحدى سياراتِ إسعافهم ولا أن أرى أي ممرِّضٍ أو طبيبٍ منهم. فكلُّهم جلّادون سفّاحونَ ولكنْ حسبَ الوقتِ والمزاجِ ... وغابت شمسُ ذلكَ اليومِ.. وأقبلَ الليلُ الثاني.. ولم أعد أستطيعُ تحريكَ قدميّ.. كنتُ أنتظرُ مرورَ أيِّ شخصٍ، أي حيوانٍ لأخبِرَهُ عن حالي.. وتركتُ أمري إلى اللهِ، وقلتُ هوَ الذي يحاكِمُ الجميعَ، وهو الذي ينتقمُ لنا..

واهتزَّ جسدُ عبد الكريم الصغيرِ وقالَ ثائراً..

ـ ولكن.. ألنْ يُحاكِمَ أحدُ الآن هؤلاءِ الجنودَ؟ ألنْ يدخلوا السجنَ؟.. أنا أقولُ يا عمي اسماعيل انَهُ يجبُ أن تُقطعَ رِجْلُ هذا الضابط «شدمي» كما قَطَعَ رجْلَك.. وأن يُقتل كما قَتَل جدَّتي وعمَّتي فاطمة... فهل سيُحاكم؟..

ـ لا أدري.. ولكنَّ الذي أدريه أن غنمةً صغيرةً مرّت فاستبشرتُ خيراً، وانتظرتُ فمرّت غنماتٌ، وانتظرتُ الراعي طويلاً فلمّا مرَّ ناديتُهُ بصوتٍ لا يكادُ يخرُجُ من بين ضلوعي.. واقتربَ الراعي وهو لا يكادُ يصدِّقُ أذنيهِ وعينيهِ، وصَعِدَ الشجرةَ وحمَلَني فوقَ ظهرِهِ إلى المستشفى فقطعوا رجلي المصابة!

سَمِعَ عبد الكريم كلَّ قصّةٍ من قصصِ العمّالِ الناجين والمجروحين عشراتِ المرات.. وذهبَ مَعَ كلِّ ابناءِ القريةِ الى موقعِ المقبرةِ.. كانَ فيها خمسونَ قبراً، كلُّ قبرٍ يحملُ اسماً مختلفاً وعمراً مختلفاً ولكنَّ تاريخَ الوفاةِ واحد: ١٩٥٦/١٠/٢٩. وكانتْ نساءُ القريةِ يبكينَ ويندبنَ ويطلُبنَ من اللهِ العليِّ القديرِ أن ينتقِمَ لابنائِهِنَّ ويحاكِمَ هؤلاءِ الظُّلّامِ...

****

١٣

ـ محكمة...

وارتفع صوتُ المنادي يعلنُ قدومَ القاضي قائلاً..

ـ محكمة...

ودَخَلَ القاضي ومن ورائِهِ المحامونَ والكتبةُ وأعضاءُ هيئةِ التحكيمِ. وجَلَسَ كلٌّ مكانَهُ... ثمّ أخذَ القاضي يضربُ الطاولةَ بالمطرقةِ ضرباتٍ متتاليةٍ معلناً ابتداءَ المحاكمةِ، ثم قال:

ـ هذه محكمةٌ خاصةٌ عيَّنها «رئيسُ الحكومةِ» برئاستي وعضويةِ رئيس بلديةِ حيفا والمحامي «جوتير» للتحقيقِ في «أسبابِ الحوادثِ التي تمَّت في القرى بتاريخ ١٩٥٦/١٠/٢٩. ومدى مسؤوليةِ رجالِ حرسِ الحدودِ من ضبّاطٍ وصفِّ ضباطٍ وأنفار، وتقديمِهم للمحاكمةِ اذا اقتضى الأمرُ.. ثم تقديرِ قيمةِ التعويضاتِ التي على الحكومةِ دفعُها للعائلاتِ المنكوبةِ من جرّاءِ سلوكِ حرسِ الحدودِ هذا!!»

****

١٤

ـ مهزلةٌ.. مهزلةٌ.. لجنةُ تحقيقٍ!. وسلطاتٌ رسميةٌ تثورُ لقتلِ هؤلاءِ العربِ!.. صَرَخَ الضابط «شدمي» امام الرائد «ميلينكي» والجندي «دهان» وهم في الغرفةِ المجاورةِ لقاعةِ المحكمةِ..

ـ ماذا يريدونَ منا بعدَ هذا النجاحِ الذي قُمنا به؟! ألم نَقُمْ بانقاصِ عددِ العربِ خمسينَ نفراً؟! ألَمْ نقُمْ بإسكاتِ هذِهِ القرى وأبنائِها الى الأبدِ؟.. لقد قامت كتيبتي هذِهِ بواجبِها خيرَ قيامٍ! فماذا تريدُ السُّلطاتُ الرسميةُ منَّا؟! ولماذا التحقيق؟! كانَ الأجدرُ بهم محاكمةَ الجيشِ الذي انسحبَ من أرضِ مصرَ وأنهى المعركةَ لغيرِ صالِحنا.. كانَ عليهم أنْ يُحاسِبوهُم، يحاكِموهُم، اذ كلَّفوا الدولةَ مئاتِ الملايين من اللّيراتِ الاسرائيليةِ ولَمْ يحتلُّوا شبراً واحداً.. لولا انسحابُ جيشِنا منْ مصرَ وانتهاءُ المعركةِ لكنتُ قد طَرَدتُ جميعَ السُّكانِ العربِ من مِنطقةِ المثلَّثِ العربِّي هذِه..أما الان وبعدَ انتهاءِ المعركةِ معَ مصرَ، فهم يريدونَ محاسبتَنَا ومحاكمتَنا حتى يَظهروا بمظهرِ الابرياء!

ـ تعويضاتٌ.. تعويضاتٌ.. يا أهلَ كُفر قاسِم قوموا خذوا التعويضاتِ لقاء قتلِ أبنائِكم.. حَمَلَ المختار مكبِّرَ الصوتِ من جامعِ القريةِ وهو يبكي.. كانِ يبكي.. خمسةَ عشرَ شخصاً بريئاً من عائلتِهِ ضحايا المجزرةِ.. وكانَ يبكي اصدقاءه وأولادَهم.. قالَ المختارُ:

ـ ألا ترونَ الكرَمَ؟ ألا ترونَ المروءةَ والشهامةَ؟ يَقتلونَنا بالأمسِ ويمنعوننا منْ رؤيةِ شهدائِنا ثُمَّ يرمونَ لنا بألفِ ليرةٍ لكلِّ عائلةٍ تعويضاً.. يظنُّونَ أن دماء ابنائِنا

تهونُ علينا أمام نقودِهم.

ولم يتقدَّمْ أحدٌ لأخذِ تعويضٍ عن أبيهِ أو أمهِّ أو أختِهِ او أخيه.. واجتمعَ الجميعُ في دار المختارِ وقرروا بناء نصب تذكاريٍّ في المكانِ الذي جَرى فيهِ الحادث، بالمبالغِ المقدّمَةِ من الحكومةِ ليكونَ شاهداً مع مرِّ الزَّمنِ على وحشيةِ اليهودِ وقسوتِهم..

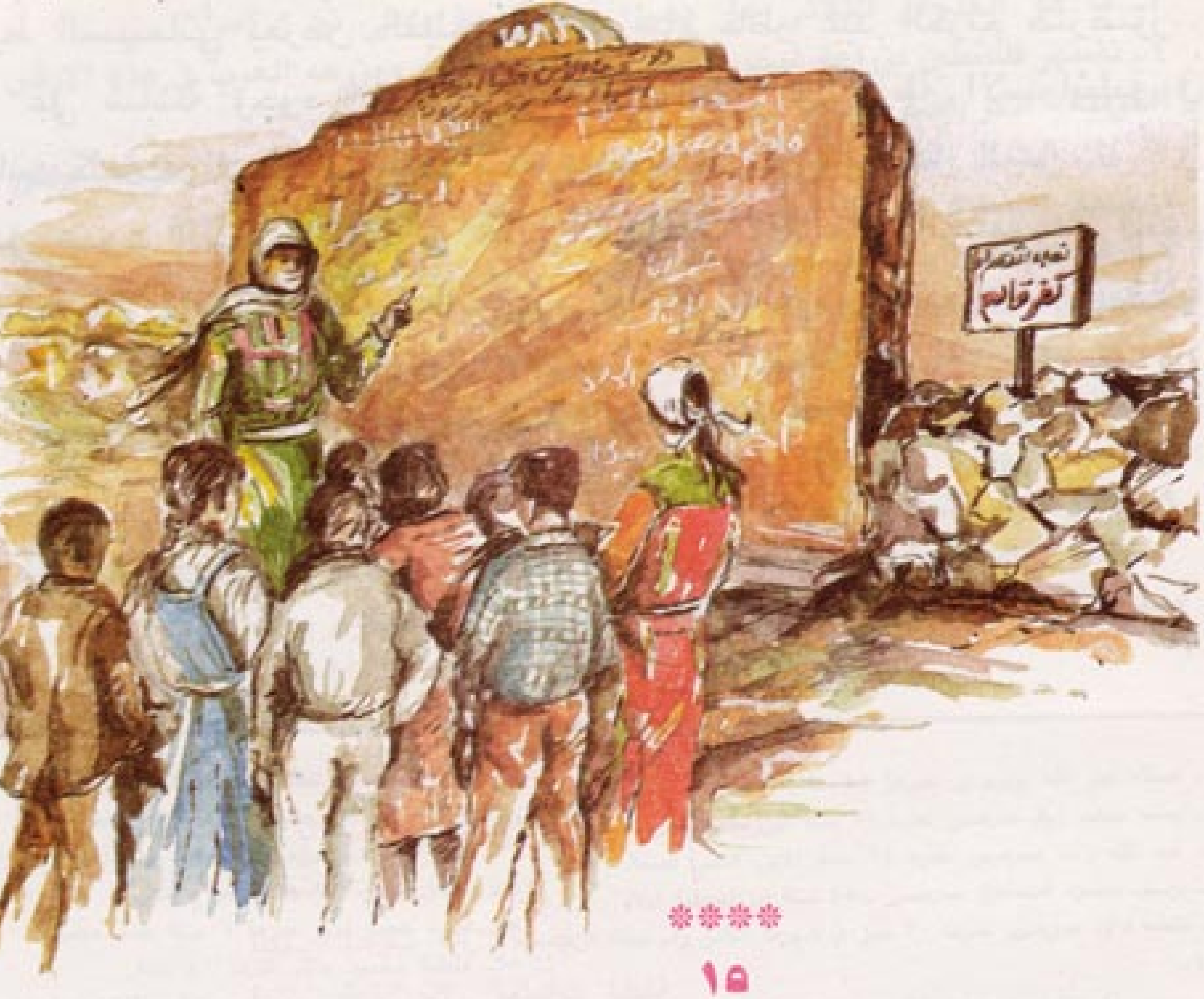

****

١٥

بعد عامينِ كاملينِ جلسَ عبد الكريم صرصور إلى والدِهِ يستمعُ له وهو يقرأُ الجريدةَ الرسميةَ بصوتٍ مرتفع:

ـ حكمتَ المحكمةُ[١] على الضّابطِ «شدمي» لقتلِهِ هو وجنودِهِ خمسينَ رجلاً وامرأةً منَ العمّالِ العربِ في كفر قاسم، بدفعِ غرامةٍ ماليةٍ مقدارُها قرشٌ واحدٌ..كما حكمت المحكمةُ على الرائدِ «ملينكي» والجندي «دهان» بدفعِ نصف قرشٍ لأنهما نفَّذا أوامرَ قائدِهما بالقتلِ...

ـ ما هذِهِ المحاكمةُ يا ترى؟وما هذا العدلُ؟وأين الحقُّ؟

ـ الحقُّ لا يضيعُ يا بنيَّ ابداً. وربُّك يمهلُ ولا يُهمل..وإنْ لم نأخُذْ بثأر قتلانا اليومَ، فمنْ يدري من مِنكُم سيثأر للقتلى وللأرض المحتلةِ وللشجرِ المسروقِ وللأرجلِ المقطّعةِ وللأجنّةِ

(١) قدم للمحاكمة أحد عشر ضابطا وجنديا في الجيش الاسرائيلي.. وأدانت المحكمة ثمانية منهم حكمت عليهم بالسجن لمدد تتراوح بين ١٨ ـ ٨ سنوات ولكنها خفضت الأحكام بناء على تدخل ووساطة رئيس الحكومة ووزير الدفاع.. وبعد ثلاث سنوات بالضبط تم العفو عن الجميع وعادوا الى وظائف مهمه في الدول.. أما «شدمي» الذي أصدر الأوامر فقد غرم بدفع قرش واحد فقط لأنه «ارتكب خطأً فنياً» وقد اطلق عليه فيما بعد «قرش شدمي».. كما غرم ميلينكي ودهان بدفع نصف قرش..

في بطونِ الأمهات؟ مَنْ يدري مَنْ مِنكُم سيثأرُ للكرامةِ المهدورةِ والدِّماءِ الرخيصةِ؟ خمسونَ رجلاً بقرشٍ واحدٍ؟ تلك هي العدالةُ عِنْدما يكونُ القاضي هوَ العدوّ، وهذا هو الحقُّ عندما ترأفُ المُحكمةُ بأبنائِها..من يدري كيفَ ومتى سنثأر؟ كيف ومتى ستعودُ الحقوقُ لأصحابها الشرعيين؟

مرَّ الشريطُ السينمائيُّ يَعرِضُ الفيلمَ الطويلَ أمامَ ناظرِ عبد الكريم صرصور..

كانَ يراهُ على شاشةِ وجوهِ القاضي والمحامينَ والكتبةِ والشرطةِ الاسرائيليةِ في المحكمةِ.. وكانت كلماتُ والدِهِ «إن ربَّك لا يُضيعُ حقَّ المظلومينَ وإنْ طالَ الزمن» ترنُّ في أذنِهِ وتَعلو على صوتِ القاضي: «بالحُكْمِ مدى الحياةِ مَعَ الأشغالِ الشَّاقةِ على المتهّم صرصور وخمسةٍ من رفاقِهِ، لتنظيمهم عشراتٍ من الشبابِ العربِ في كفر قاسم في خلايا فدائيةٍ..»

﴿ تمَّت ﴾

الّذي ماتَ هُوَ القاتلُ يا قيثارتي[1]
ومغنّيك انتصرْ
احصدوهم دفعةً واحدةً!! احُصدوهم!
اه يا سنبلةَ القمحِ على صدرِ الحقولْ
ومغنّيك يقول:
ليتني اعرفُ سرَّ الشجرة
ليتني ادفن كلَّ الكلمات الميتة
ليت لي قوّة صمت المقبرة
يا يداً تعزف!!ياللعار..خمسين وتر
ليتني اكتب بالمنجلِ تاريخي
وبالفاس حياتي
وجناح القبّره
كفرَ قاسم!!
إنني عدتُ من الموت لاحيا، لاغنّي
فدعيني أستعر صوتي من جرحٍ توهَّجْ
واعينيني على الحقدِ الذي يزرعُ في قلبيَ عوسَجْ
إنني مندوبُ جرحٍ لا يساومْ
علمتني ضربةُ الجلادِ
أن أمشي على جرحي
وأمشي..ثم أمشي..واقاوم!!

(١) قصيدة مغني الدم من ديوان «آخر الليل» لمحمود درويش

اسئله

١- ما هي التهم الموجّه للشاب عبد الكريم صرصور؟ (ص٣)

٢- كيف استطاع المختار احمد صرصور ابلاغ الاهالي بقرار منع التجول المفاجيء؟ وهل استطاع اخبار العاملين خارج القرية بذلك القرار ؟(ص٨).

٣- ما هو العدوان الثلاثي على مصر؟ من قام به ومتى تم ؟ (ص٦)

٤- تشتهر فلسطين بزراعة شجر الزيتون من الذي زرعه ويزرعه العرب في هذه الارض العربية. اذكر اسم اشجار نباتات اخرى تشتهر في فلسطين.

٥- كان العمال العرب العائدون الى قرية كفر قاسم يقتلون على مدخل القرية.. ولكن بعضهم استطاع النجاة بروحه وروح ركابه..كيف تم ذلك؟(ص١٦،١٧).

٦- بقي المصاب اسماعيل صرصور على شجرة زيتون مدة يومين دون حراك..من الذي حمله الى المستشفى بعد ذلك؟ وماذا فعلوا برجله المصابه؟ (ص٢٠،٢١)

٧- من دفن القتلى من العمال العرب؟ (ص٢٠)

٨- ماذا بنى اهل كفر قاسم بالمبالغ التي قدمتها الحكومه الاسرائيلية تعويضا عن ابنائهم الشهداء؟ (ص٢٣).

٩- ماهو قرش شدمي (ص٢٣)

١٠- حاول عبد الكريم صرصور ان يثأر لمقتل ابناء قريته، ولكن العرب لم يستطيعوا بعد استعادة حقوقهم وارضهم السليبه، فمن برأيك سيقوم بذلك؟

اسماء القتلى في كفر قاسم:-

١- صفاء عبد الله صرصور عمرها ٤٥سنة

٢- جمعه محمد زياد صرصور عمره ١٦ سنه ابن صفاء صرصور.

٣- عبد الله زياد صرصور عمره ١٤ سنة الابن الثاني لصفا.

٤- يوسف محمود اسماعيل صرصور - ٤٥ سنة اب لخمسة اولاد.

٥- فاطمه داود صرصور عمرها ٣٠ حبلى في شهرها الثامن وام لستة اولاد.

٦- محمد علي صرصور عمره ٢٥ سنه اب لستة اولاد.

٧- عطا يعقوب صرصور ٢٦ سنة اب لولدين.

٨- محمود خضر صرصور

٩- محمود سليم صرصور عمره ١٧سنة.

١٠- محمود عبد الرزاق صرصور عمره ١٦ سنة.

١١- فاطمة صالح صرصور عمرها ١٤ سنة.

١٢- زغلولة احمد عيسى عمرها ٤٥ سنة.

١٣- عثمان عبد عيسى عمره ٣٠ سنة.

١٤- فتحي عثمان عيسى عمره ١٢ سنة وهو ابن عثمان عيسى الراعي الذي قتل بينما كان عائدا الى القرية.

١٥- ابراهيم عبد الهادي عيسى عمره ٢٧ سنة، ترك وراءه امراة وولدين.

١٦- عبد سليم عيسى ٢٠ سنة ترك وراءه ولدا

١٧- غازي محمود درويش عيسى عمره ٢٠ سنة.

١٨- صالح مصطفى عيسى عمره ١٧سنة.

١٩- فاطمة مصطفى عيسى - عمرها ١٨ اخت صالح عيسى.

٢٠- جمعه توفيق عيسى عمره ١٦ سنة.

٢١- عبد احمد عيسى عمره ١٥ سنة.

٢٢- لطيفه داود عيسى عمرها ١٣ سنة.

٢٣- عبد محمود عيسى عمره ١٢ سنة.

٢٤- طلال شاكر عيسى عمره ٨ سنوات

٢٥- عبد الله سليمان عيسى - كهل، جد الولد طلال شاكر عيسى، توفي في اليوم التالي من عظم الكارثة بعد ان قتل حفيده واصيب ابنه شاكر وزوجته ابنة رسمية وحفيدته نورة بجراح خطيرة.

٢٦- سليم احمد بدير عمره ٥٠ سنة ترك وراءه امراة و ٦ اولاد واصيب ابنه عثمان وعمره ١٧ سنة بجراح خطيرة.

٢٧- حلوة محمد بدير عمرها٦٠ سنة جدة عجوز.

٢٨- فاطمة محمود بدير عمرها ٤٠ سنة.

٢٩- عبد الرحيم سليم بدير عمره ٢٥ سنة ترك وراءه امراة واربعة اولاد.

٣٠- عبد الله عبد جابر بدير عمره ١٧ سنة.

٣١- رشيقة فايق بدير عمرها ١٣ سنة.

٣٢- امنه قاسم طه عمرها ٥٠ سنة ام لاربعة اولاد.

٣٣- زينب عبد الرحمن طه عمرها ٤٥ سنة.

٣٤- بكرية محمود طه عمرها ١٧ سنة ابنة زينب طه.

٣٥- علي عثمان طه عمره ٣٠ سنة ترك وراءه امراة وثمانية اولاد.

٣٦- احمد محمد فريج ٣٥ عاما.

٣٧- محمد عبد الرحمن عاصي ابو سماحه.

٣٨- صالح محمود نصار عامر ٥٠ عاما.

٣٩- محمود عبد الغافر ريان ٣٥ عاما.

٤٠- علي نمر محمد فريج ١٢ عاما.

٤١- صالح محمد احمد عامر ٤٠ عاما.

٤٢- رياض رجا حمدان داود ٨ سنوات.

٤٣- جمال بسلي محمد طه ١١ عاما.

٤٤- موسى دياب عبد فريج ١٨ عاما.

٤٥- احمد محمد جودة عامر.

٤٦- محمد محمد مصاروه.

٤٧- محمد سليم خضر صرصور.

٤٨- محمد دياب عبد صرصور.

٤٩- خميسة فرج محمد عامر ٥٠ سنه.

٥٠- لطيفة داوود محمود عيسى.

شكر وتقدير

أؤكد شكري واعتزازي للدكتور عبد الرحمن ياغي الذي قرأ ونقد وصوب كتب الاطفال هذه، ايمانا منه بضرورة تقديم تاريخ النضال العربي للاطفال باسلوب فني مميز.

الكتب الصادرة للمؤلفة روضة الفرخ الهدهد

سلسلة حكايات بطولية للاطفال:

١. في أحراج يعبد — البطل الشيخ عز الدين القسام
٢. سر القنابل الموقوتة — البطل ابو ابراهيم الكبير
٣. قافلة الفداء — البطل محمد حمد الحنيطي
٤. الزمن الحزين في دير ياسين — حياة البلبيسي وحلوة زيدان
٥. رحلة النضال — بطل سلمه الشيخ حسن سلامه
٦. منقذ القرية — البطل ابراهيم ابو ديه
٧. صائم في سجن عكا — الشيخ فرحان السعدي
٨. أسد فوق حيفا — البطل فراس العجلوني
٩. كفر قاسم والمحاكمة العادلة

سلسلة حكايات الغول:

١. ليلى والكنز
٢. هل يكفي الحظ؟
٣. مغامرات ريان

يطلب هذا الكتاب من
دار كندة للنشر والتوزيع
عمان ـ الاردن. ص ب ٤٥ تلاع العلي
هاتف ٨٤١٨٨٦ ـ تلكس ٢٣٨٤٩
ومن المؤلفة:
ص.ب ٤٤٦ عمان . هاتف ٨١٩٢٨٢